رمضانيات

بين حفر الباطن وساهر الليل ..
دراما رمضان تفتح صفحة العلاقات الكويتية العراقية

ساهر الليل وطن النهار

ضياع بين حفر الباطن

□بغداد / نورا خالد

لعبت الصدفة دورها في الدراما لهذا العام عندما جمعت بين مسلسلين تناولا أحداث الثاني من آب عام حادثة غزو الكويت عام ١٩٩٠وهما المسلسل الكويتي ساهر الليل وطن النهار والمسلسل العراقي ضياع في حفر الباطن .

وقد تباينت ردود أفعال المشاهدين بين مستاء ومتقبل للأحداث التي تناولها المسلسلان ،فالمسلسل الكويتي مسلسل ساهر الليل أثار استياء أكثر المشاهدين العراقيين لما فيه من ألفاظ سيئة اعتبرها البعض تمس كرامتهم خاصة عند مقارنته مع مسلسل ضياع في حفر الباطن الذي حاول الابتعاد عن كل ما يمس المشاهد سواء العراقي أو الكويتي . وللوقوف على أهم ما ميز هذين المسلسلين التقينا بعدد من القائمين على مسلسل حفر الباطن ،وكان أول المتحدثين كاتب رواية ضياع في حفر الباطن عبد الكريم العبيدي التي أخذت قصة المسلسل منها ، إذ قال: شاءت الأقدار أن يلتقي المسلسل العراقي "ضياع في حفر الباطن" المأخوذ عن روايتي الأولى بذات الاسم مع المسلسل الكويتي "ساهر الليل" في عرضهما من على شاشتي العراقية والـ mbc١ خلال ليالي شهر رمضان الحالي.المسلسلان يتفرعان من أصل واحد وهو موضوعة غزو صدام الكويت وما تلاه من تداعيات مأساوية على الشعبين العراقي والكويتي وشعوب المنطقة والعالم على مدى شهور عديدة، وامتدت على مدى أكثر من عقدين، خصوصا على الشعب العراقي الذي عانى ويلات الحرب الكونية التي حررت الكويت وأعادت العراق إلى ظلمات العصور الوسطى، إضافة إلى جريمة الحصار الذي فرض على الشعب العراقي بحجة التضييق على آلة النظام الدكتاتوري الحربية وتطلعاته لامتلاك أسلحة الدمار الشامل.

وأضاف: في البدء، سأقرأ مسلسل "ضياعي في حفر الباطن"، فهو لم يكتب بصيغة مستقلة بل أخذ أحداثه زمانا ومكانا من نص روائي كان مؤلفه هو الكاتب وبطل الرواية في آن واحد، رغم استحداث أبطال وأحداث من خارج نص الرواية محسوبة على كاتب السيناريو ولا علاقة للرواية بها.

النص الروائي هذا لم يكتب بمخيلة أو معايشة جنود وضباط كانوا في صحراء حفر الباطن، بل أن المؤلف/ بطل الرواية هو من كتب عن مأساة ضياعه وضياع جيل عراقي، بل أجيال في مطاحن الحروب والدمار التي كان آخرها حرب عاصفة الصحراء، ولذلك احتفظ النص بمصداقية كبيرة، وبحرارة الأحداث وتشابكها المعاشة في الصحراء، وفي داخل العراق، خصوصا المحافظات الجنوبية، مما أكسبه علاقة حميمية مع المتلقي، ومنحه دعامة دائمة للتفاعل مع شرائح واسعة من الشعب، إضافة إلى المتفرجين من خارج العراق وهم على حد علمي من الكثرة بحيث لم يحظ مسلسل عراقي بمثل هذه المتابعة في كل تاريخ الدراما العراقية،

وتابع العبيدي : كما أن المسلسل، باعتباره نصا مرئيا مأخوذا من نص مكتوب، اشتغل بخطاب عراقي مهني غايته "التاريخية" هو حفظ الذاكرة العراقية الجمعية وكشف الجرائم كما هي بخطاب موضوعي حرفي غايته قراءة حقبة دموية ظلامية دكتاتورية مر بها العراق وعرضها على الأجيال كما هي بلا أضغان ولا أحقاد ولا تهويل، وهنا ينشق المسلسل عن نظيره الكويتي على ما يبدو من هذا المفصل المهم.

واستغرب العبيدي صمت الدراما الكويتية لأكثر من عقدين عن موضوعة الغزو الذي تعرضت له الكويت، التي تعد أخطر حدث في تاريخ هذه الدولة الصغيرة ثم التفتت لها بهذا العمل الذي لا يرقى إطلاقا إلى أهميتها! .وأشار العبيدي إلى أن المسلسل كتب -على ما يبدو- تحت ضغوطات المظلومية التي حصلت للمواطنين الكويتيين وما نتج عنها من رعب ولجوء إلى دول مجاورة، مع تخريب متعمد لبيوتهم ودولتهم عموما، لكن هذا الحيف لا يبرر الابتعاد عن المهنية في كتابة وإنتاج مسلسل، جاءت حلقاته ساخطة ومنفعلة ومسيئة أحيانا، ناسفة أبسط وشائج المصاهرة والأواصر الاجتماعية والثقافية بين الشعبين الشقيقين، على عكس خطاب مسلسل ضياع في حفر الباطن- وخطاب الرواية بخريطته الأشمل والأكثر غزارة، الذي أشارت حوارات أبطاله في أكثر من موضع وموضع إلى تعاطفهم مع الكويتيين وسخطهم على النظام الدكتاتوري وغزوه وتخريبه البلدين.

مخرج مسلسل ضياع في حفر الباطن مهدي طالب أكد أنه عمل على واقعية الحدث في المسلسل وهو ما ميزه عن مسلسل ساهر الليل وطن النهار الذي اعتمد على شيء واحد هو إظهار ما بداخل الكاتب أو المخرج من إرهاصات الغزو على الكويت والتعامل مع الموقف بسلبية، وهو بذلك يدعو إلى نشر ثقافة العنف والحقد ،بينما مسلسل حفر الباطن نشر ثقافة التسامح والتعاطف مع الكويتيين ،وهذا ما نجده على لسان شخصيات المسلسل ، وأضاف طالب : هذه الحقبة من الزمن التي تتميز بحساسيتها بالنسبة للشعبين يجب أن تظهر بشكل جيد وواقعي أو أن لا تظهر،وما يؤخذ على كاتب ومخرج مسلسل ساهر الليل هو عدم تمييزه بين السلطة التي اتخذت قرار الغزو، وبين الشعب العراقي الذي كان متفاجئاً حاله حال الشعب الكويتي بالغزو، فوجه المسلسل الكويتي سيلاً من الشتائم على لسان أبطاله للعراقيين بدون أي تمييز، على عكس المسلسل العراقي، الذي حاول قدر الإمكان أن يكون خطابه متوازنا. وأشار طالب إلى أن المسلسل اعتمد على مبدأ السياسة ،وبما أنه اعتمد على هذا المبدأ فهو يؤول بالتأكيد،وختم طالب حديثه بالقول : مسلسل ساهر الليل وطن النهار يفتقر إلى أساسيات الدراما التي يجب أن تتوفر لنجاح أي مسلسل.

بطل المسلسل الفنان حسن هادي أشار إلى أن الصدفة التي جمعت بين المسلسلين من حيث الموضوعة ووقت العرض خدمت الدراما العراقية على حساب الدراما الكويتية التي ابتعدت عن الموضوعية في كثير من المشاهد التي أساءت للعراقيين والكويتيين والتي كان بالإمكان تجاوزها، بينما كانت الموضوعية التي اعتمدها مسلسل ضياع في حفر الباطن في تصوير الحقيقة كما هي دون أي تزييف أو تزويق هي ما جعلت المسلسل يأخذ دوره الحقيقي، ويحقق نسبة مشاهدة عالية بين الجماهير .

وكان كاتب سيناريو مسلسل ضياع في حفر الباطن قد علق على المسلسل في موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) بالقول: : إنه جهد جماعي لفريق عمل كبير، وعلى رأسهم المخرج مهدي طالب الذي ظل متمسكاً بمواصفات ومستوى من الجودة في الصورة والتقنيات واستعادة البيئة الأصلية للأحداث ورائحة المكان العراقي رغم كل العقبات التي واجهته على مدى أكثر من سنة.المسلسل العراقي مهد لحدث الغزو من أيام انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٨ ومعاناة العراقيين في تلك السنوات ليصل إلى دخول القوات الصدامية الكويت، الخبر الذي مثل صدمة للعراقيين قبل غيرهم.

سلاما ياعراق

■ هاشم العقابي

الصوم في الأدب الشعبي

كثير من الطقوس والشعائر الدينية تأخذ بعداً شعبياً. تغذي التراث وتتغذى منه أيضا. أجمل ما كنا ننتظره في رمضان هو الأغاني الرمضانية التي تحول الاهتمام منها إلى الدراما في هذه الأيام. وهذا أمر طبيعي فرضته ثورة الاتصالات الحديثة إذ ما كان في أيامنا غير الراديو وساعات بث تلفزيونية قليلة محصورة بقناة واحدة. لكن بصراحة، وبيني وبينكم، كانت تلك الشحة أجمل في وقعها على القلوب من وفرة هذه الأيام التي صارت الفضائيات فيها تحشو نفسها حشوا بمسلسلات وبرامج هدفها التسابق لكسب الإعلانات واستقطاب كم من المشاهدين بأي ثمن. كان النوع وليس الكم هو السائد في النشاطات الإعلامية الرمضانية.

والصوم كعبادة، وكذلك شهر رمضان كمناسبة، لم يغيبا عن الحضور في الشعر الشعبي والأغاني. أغان وأبيات ترددها الناس حتى لو لم يكن رمضان قد حل بعد. يرددونها لأنها صارت جزءا من الثقافة الشعبية وليس الدينية فقط. بعضها حفظها الناس عن ظهر قلب، ورددها اغلبنا رغم أن فيها خطأ بالمعنى. يبدو أن جمالها أنسانا ذلك الخطأ، مثل أغنية "كل الهلا بحبيبي الجان ازعيلان". غناها مطربون كثيرون واشتهرت أكثر عند المطرب سعدون جابر، فيها مقطع يقول:

كل الهلا بالحدث لو جن كلهن ريحه مسج وخضيرة بطي ا كذلهن

ما كلتلج يا يمه اخذيلي منهن بلچي ربج يغفرلج صومة رمضان

الخطأ هو في دعوة العاشق ربه أن يغفر صوم أمه وكأنها ارتكبت ذنبا، ودعوة الغفران قد تصح أن تطلبها من الرب لمن لم يصم الشهر وليس لمن صامه. فلو قال المطرب "بلچي ربج يقبلج صومة رمضان" لكانت اقرب إلى الصح. أساس الخطأ جاء بسبب اجتهاد في تحريف النص الأصلي الذي اطلعت عليه فوجدته يقول: "بلچي ربج يغفرلج يوم الغفران"، أي القيامة. وهنا يكون المعنى مكتملا. فمن منا لا يتمنى على الله أن يغفر ذنوبه ومن يحب يوم الحساب؟

ومرة كنت في عرس صديق بمدينة الشعلة، أيام كنت اعمل معلما فيها، فسمعت إحدى المطربات الغجريات تغني بيتا جميلا من الدارمي جاء به ذكر الصوم فحفظته ولا أظنه سيغيب عن ذاكرتي لجماله:

وبصومج الصمتيه يمه بصلاتج چم واحد الردتيه يمه ابصباتج؟

وفي أبوذية من النوع الذي يقال مجاراة لأبيات من الشعر الفصيح، وتسمى "المُولّدة"، بيت يقول صاحبه:

صومي لليكول اهواك شفته صبحت وارشفت من الترف شفته

يكلي افطرت كتله البدر شفته بجبينك حرم كل صومي عليه

وهو في هذا يجاري قول الشاعر الفصيح:

قبلته عند الصيام فقال لي أتفطر يا هذا ونحن صيام؟

فأجبته أنت الهلال وعندنا الصوم في رؤيا الهلال حرام

ومرة سمعت شابا يغني وكأنه يئن أنين المذبوح:

وحق رمضان وصيامه ولمساك اريدن بس اشوفنك ولمساك

هجرك صوم يمدلل ولمساك وعيد الفطر من تكبل عليه

وتقبل الله صيامكم.

استراحة الصائم

■ يروى عن الأصمعي أنه قال: هجم عليّ شهر رمضان وأنا في مكة، فخرجت إلى الطائف لأصوم بها هرباً من حر مكة، فلقيني أعرابي، فقلت له: أين تريد؟ قال: أريد هذا البلد المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه، فقلت: أما تخاف الحر؟ فقال: منَ الحَرّ أفر؟!

■تقدم شاب لوظيفة في إحدى الشركات فلما دخل عليهم سألوه: متى يكون حاصل ضرب ٣×٣=١٠؟ فقال: عندما تكون الإجابة خطأ.

قالوا: ما الشيء الذي له أكثر من جناح ولا يطير؟ قال: الفندق. قالوا: ما الكلمة المؤلفة من أربعة حروف إذا أكلت نصفها تموت، وإذا أكلتها كاملة لا يصيبك شيء؟ قال: سمسم. قالوا: من الرجل الذي يستطيع أن يقف على الأرض ورأسه فوق النجوم؟ قال: الضابط. قالوا: ما أكبر عدد من المواليد يمكن أن تضعه النعامة؟ قال: النعامة تبيض ولا تلد، قالوا: ما الشيء الذي من دونه لا تستطيع أن تحصل على الوظيفة في هذه الشركة؟ قال: الواسطة.

قالوا: وهل هي عندك؟ قال: لا. قالوا: إذاً، أغلق الباب بهدوء وأنت خارج!

■ قال وهب بن منبه: بنى جبار من الجبابرة قصراً وشيده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخاً تأوي إليه، فركب الجبار يوماً وطاف حول الكوخ، فقال: لمن هذا؟ فقيل: لامرأة فقيرة تأوي إليه، فأمر به فهدم، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً، فقالت: من هدمه؟ فقيل: الملك رآه فهدمه، فرفعت العجوز رأسها إلى السماء، وقالت: يا رب إذا لم أكن أنا حاضرة، فأين كنت أنت؟ فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه، فقلبه. ورد هذا الخبر في الكبائر للذهبي.

قيل لأحدهم: إن حاجبك يقدّم معارفه في الإذن على وجوه الناس! فقال: وما عليه، إن المعرفة لتنفع في الكلب العقور، والسبع الهصور، والجمل الصؤول، فكيف في رجل حسيب، ذي كرم ودين؟!

■ قال أحد الملوك لابنه: لا تمكّن الناس من نفسك، فأجرأ الناس على السباع أكثرهم معاينة لها!

■ قال المنصور لحاجبه: ابسط وجهك للمستأذنين، وصن عرضك عن تناول المحجوبين فما شيء أوقع بقلوبهم من سهولة الإذن وطلاقة الوجه!

■ وقيل: لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب، ولا شيء أهيب للرعية وأكفّ لهم عن الظلم من سهولتهم.

■ وقيل لبعض السلاطين: لم لا تغلق الباب وتقعد عليه الحجاب؟ فقال: إنما ينبغي أن أحفظ أنا رعيتي لا أن يحفظوني!

■ قال ميمون بن مهران: كنت عند عمر بن عبدالعزيز فقال لحاجبه: من بالباب؟ قال: رجل أناخ راحلته الآن، يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأذن له، فلما دخل قال: حدّثني. فقال: حدّثني أبي أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «من ولي من أمر الناس شيئاً فاحتجب عن أولي الضعفة والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة» فقال عمر لحاجبه: الزم بيتك! فما رُئيَ على بابه بعد ذلك حاجب.

بغداديات.. رمضان الأمس 16

ترشيد الاستهلاك

□ عزيز الحجية

وقفة سريعة على بعض بنود هذا الموضوع تظهر جليا بأن البغاددة في الجيل الماضي كانوا ذوي نظرة واقعية من تنظيم حياتهم المعاشية . وعدم رغبتهم في التبذير بكل شي بل يحاولون الاستفادة من كل قطعة قماش صغيرة جديدة كانت أم قديمة

كما يبدو من ذلك نشاط ربة البيت ومواظبتها على أعمالها اليومية الرتيبة والاستفادة من أوقات الفراغ بأعمال تعود بالنفع العميم على أفراد العائلة وتوفير بعض النقود يصرفونها في مكان آخر أو تصوغ بها قطعة ذهب تمشياً مع قولهم الذهب هم زينة وهم خزينة فإذا أصبحت ملابس أبو البيت قديمة السترة والزبون أو السترة والبنطلون فإن أم البيت تتصرف بها تصرفا حسنا ،فإذا كانت الملابس غير مستهلكة تماما ويمكن الاستفادة منها تراها تبدأ بترقيم تنسيب ذلك القاط على جسم احد أولادها.

فإذا كانت السترة عريضة خبنتها وإذا كانت ضيقة عرضتها وإذا كانت قصيرة طولتها وان كانت لاتناسب الأولاد أو احد الأقرباء فإنها تكسوها احد فقراء المحلة أو تبدلها مع احد الدوارين ممتهني تبديل الملابس المستعملة بأوان فخارية وغيرها ،أما الملابس الداخلية وملابس الأولاد الصغار فيستفاد منها في مسح زجاج الشبابيك أو في تلميع الأدوات الفضية والمعدنية أو تستعملها في المطبخ في مسح الأواني وتجفيفها بعد الغسيل أو في مسحك القدور وغيرها من أدوات الطبخ الحارة كما تقسم بعض القطع غير المزقة من الملابس القطنية كالدشاديش وغيرها لاستعمالها كمناديل للأولاد الصغار بعد خياطة حافاتها أو تستعملها كشرائط لربط جواريب الأولاد على سيقانهم وغيرها كما تستعمل قطع الملابس القديمة في شد الأيدي والأرجل بعد وضع الحناء عليها في المناسبات كالأعياد وحفلات الختان وغيرها أو تستعملها في شد الجروح حيث كان من النادر وجود أدوات تضميد حديثة في البيوت تستعمل في عمل اللبخات أو عصابة عند إصابة احد الأولاد في رأسه نتيجة لعبه مع أقرانه وغيرها من الاستعمالات البيتية.

وهناك استعمالات أخرى لأقمشة الملابس القديمة حيث يستخدمها الأولاد في هواياتهم مثل :

عمل ذيل الطيارة أم السناطير أو في شد البوتاز قبيل ليلة المحية أو استعمالها كخداعة للطيور من قبل المطيرجية (هواة الطيور)

أما أم البيت فتستعمل القطع النظيفة منها في شد حلوك (أفواه بساتيك الطرشي) والمربى ومعجون الطماطة وأفواه قناني مي الورد ومي القداح وعصير الرارنج وغيرها كما تستخدم كلواشة لمسح التنور بعد شجره لتنظيفه من الهيس وإعداده للخبز .

أما فضلات الأقمشة الجديدة التي تبقى بعد تفصيل الملابس أو تجديد الأفرشة حيث تجمع للاستفادة منها عند الحاجة وكما يلي :

إذا كانت قطع فضلات الأقمشة كثيرة خيطت بجانب بعضها لتصبح على شكل قطعة مستقيمة تبطن بطبقة قطن خفيفة وتبطن بطبقة قطن خفيفة وتبطن بقماش آخر فيما إذا لم تكف فضلات الأقمشة للوجهين فتصبح كمفرش سمي مؤخرا جودلية تستعمل للجلوس في فناء الدار أو للاستلقاء عليه صيفا في فترة القيلولة ..

أما إذا كانت قطعة القماش سميكة ولونها جميلا صنعوا منها بيز يستعمل في مسك يدة قوري الشاي أو يدة دلة القهوة وإذا كانت فضلة القماش كبيرة عملوا منها باباجان وهو غطاء يكسو القدم فقط يلبس عادة فوق الجوارب شتاء لزيادة الدفء كما تصنع من فضلات الأقمشة لعابات للصغار وملابس اللعابات وغيرها...

جريدة الاتحاد1984

رمضان في مثل هذا اليوم

16

■في مثل هذا اليوم من عام ٥٨ هج (١٢ تموز ٦٧٨ م) توفيت السيدة عائشة زوج الرسول الكريم ودفنت في البقيع في المدينة . تزوجها صغيرة وهي ابنة صديقه الأثير أبي بكر الصديق ، وبقيت بعد وفاة الرسول سبعاً وأربعين سنة .

■وفي مثل هذا اليوم من عام ٧٢٧ هج رحل العلامة ابن الزملكاني ، كمال الدين محمد بن علي الأنصاري ، أكبر مجتهدي عصره . وصفه الإمام الذهبي فقال : كان عالم العصر ومن بقايا المجتهدين ومن أذكياء زمانه تخرج به الأصحاب . ولد في دمشق سنة ٦٦٧ هج ، وعمل قاضيا في مصر حتى وفاته فدفن قريبا من قبر الإمام الشافعي .

■وفي مثل هذا اليوم من عام ٧٦٢ هج (٢٠ تموز ١٣٦١ م) أبصر النور العلامة بدر الدين أبو محمد محمود العيتي أشهر شراح صحيح البخاري (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) ، وهذا الشرح ثاني اكبر شرحين للصحيح ، والثاني هو شرح ابن حجر العسقلاني الموسوم (فتح الباري) .

■وفي مثل هذا اليوم من عام ٨٤٥ هج (٢٧ كانون الثاني ١٤٤٢ م) توفي مؤرخ مصر الكبير المقريزي ، اشتهر بكتابه (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) .

■وفي مثل هذا اليوم من عام ٩٦٥ هج قتل الفقيه الأمامي زين الدين العاملي المشهور بالشهيد الثاني وهو في طريقه إلى اسطنبول بناء على طلب السلطان . كان مؤلفا قديرا وأشهر كتبه الفقهية (اللمعة الدمشقية) من كتب الفقه المعتبرة لدى الامامية .

■وفي مثل هذا اليوم من عام ١٠٦١ هج ، قتلت أشهر نساء البلاط العثماني ، السلطانة (كوسم مهبيكر) زوج السلطان احمد وأم السلطان الكبير مراد الرابع ثم شقيقه إبراهيم ثم حفيدها محمد الرابع ، عزلت ابنها السلطان إبراهيم وتآمرت لقتله ونصبت حفيدها محمد وجعلت نفسها وصية عليه . وبعدها تولت خديجة تارخان نيابة السلطنة عن ابنها الصغير محمد الرابع .

■وفي مثل هذا اليوم من عام ١٢١٣ هج (٢٠ شباط ١٧٩٩ م) تمت مطاردة الجيش الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت من قبل جيش المماليك المصري في العريش ثم اندحاره أمام عكا .

إعداد : رفعة عبد الرزاق محمد